مجلة بحوث كلية الآداب
جامعة المنوفية

البحث
٢

فلسفة ابن سينا التربوية

دراسة تحليلية تاريخية

إعداد

د / حسام محمود إبراهيم رزق

دكتوراه فى الآداب تخصص فلسفة

كلية الآداب – جامعة المنوفية

محكمة تصدرها كلية آداب المنوفية

العدد السادس والستون يوليو ٢٠٠٦

web site. http // : www.menofia. edu. eg *** http : // Art.menofia . edu. eg

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

فلسفة ابن سينا التربوية – دراسة تحليلية تاريخية –

دكتور/ حسام محمود إبراهيم رزق
دكتوراه في الآداب – تخصص فلسفة
كلية الآداب – جامعة المنوفية

درج معظم الباحثون في فلسفة ابن سينا التربوية على أن يتحدثوا فيها بداية من مرحلة فطام الطفل، إلا أنني قد اكتشفت ستة مراحل أخرى سابقة عليها، وهي مراحل تقويم النفس، الحاجة الفطرية لبناء الأسرة وعلتها، البناء الاقتصادي للأسرة، اختيار الزوجة الصالحة وحسن سياستها، مرحلة التدبير الكلي للحوامل، ومرحلة تدبير المولود منذ الولادة إلى الفطام. هذا إضافة إلى المراحل الأخرى الأساسية وهي مرحلة تربية الناشئ، مرحلة التعليم الأساسي، مرحلة التعليم الجماعي، ومرحلة التوجيه والإرشاد التربوي ومسايرة ميول الصبي.

وأضيف إلى ذلك أن معظم الباحثين لم يكلفوا أنفسهم بوضع البداية أو النهاية العمرية للمراحل الأساسية لتربية الطفل – ما عدا ما نص عليه ابن سينا في كتاب السياسة – وقد فعلت ذلك معتمدًا على المقارنة بين كتابي القانون في الطب والسياسة.

وقد قسمت هذا البحث إلى عدة عناصر هي :-

أولا: المقدمة .

ثانيًا : أثر نشأة ابن سينا في آرائه التربوية.

ثالثًا: منهج التربية السينوية .

رابعًا : أهداف فلسفة التربية عند ابن سينا .

خامسًا : خاتمة البحث .

سادسًا : قائمة المصادر والمراجع .

وقد توصلت من خلال هذا البحث إلى عدة نتائج أهمها :-

١- إن آراء ابن سينا في فلسفة التربية الموضوعة كتابي القانون في الطب والسياسة تعد من وجهة نظري نظرية تربوية متكاملة.

٢- إن منهج التربية السينوية يعد أثرًا من آثار نشأته.

٣- إن فلسفة بن سينا التربوية تحلت بروح تقدمية عندما تخلى ابن سينا عن بعض نواحي التربية السائدة في عصره كالتعليم الفردي والطبقي، فرأى ضرورة التعليم الجماعي الشامل لكافة طبقات المجتمع.

٤- إن ابن سينا قد توصل إلى آراء جديدة في التربية لم يسبق إليها في الإسلام وهي مسايره ميول الصبي وتوجيهه إلى المهنة أو الصناعة التي تتفق مع ميوله ورغباته، وبدء التعليم الابتدائي من ست سنوات، والتعليم الثانوي من سن الرابعة عشرة، وهي نظرات صائبة تطبق في العصر الحاضر.

وأخيرًا أرجو أن ننتفع وينتفع أولادنا بمثل هذه النظريات التربوية الفلسفية الجادة التي نشأ عليها أسلافنا ، لتضعنا على الطريق الصحيح ، ولنتقدم كما تقدم سلفنا الصالح.

أولاً : المقدمة ...

كان قد أشيع على أسنة أقلام بعض من المستشرقين أن علماء الإسلام ومفكريه ، لم يُعْنَ واحد منهم – على قدر الكفاية – بالدراسات التربوية، ومما أشيع أيضًا أن القرآن الكريم والسنة النبوية لم يتعرضا لها إلا بما لا ينقع غلة ولا يشفي عليلاً ٠

لهذا لم يكن من المستغرب أن يقول المستشرق الفرنسي كارا دي فو " **Carra de vaux** " :- لم يهتم الإسلام بأمر الطفل ٠٠ ففي القرآن لا تجد إلا آيات جد قليلة تتعرض لهذا الأمر ٠٠٠ ولقد أهمل مفكرو الإسلام موضوع التربية إلى حد ما ، وكان أثر ما أضافوه فيه من ابتكار شديد الندرة " [1] ٠

ولا يمكن التسليم بصحة ما قاله دي فو " **De vaux** " رغم التأكيد علي القضايا التالية :-

١ – إنه ربما لم يقع بين يديه حينئذ شيء من تلك المؤلفات الإسلامية التي تهتم بأمر تربية الأطفال وتعليمهم ٠

٢ – إن أكثر مؤلفات فلاسفة الإسلام ومفكريه التربوية كانت غير متوافرة لأمور ثلاثة :- فهي إما مفقودة فيما فُقد من آثارهم ، وإما متوارية بين المخطوطات المكدسة مهملة أو منسية ، أو متناثرة في طيات مؤلفاتهم الأخرى ٠

٣ – إن القرآن الكريم ليس كتاباً في علم من العلوم ، وموقفه من العلم واضح إذ هو يؤكد أولاً على وجود الظواهر المختلفة أو يضع نقاطها الأساسية ، وثانيًا يدعونا إلى تأمل هذه الظواهر ودراستها وصياغتها وترتيب فروضها حسب مقتضيات وظروف كل عصر ٠

٤ – تختلف التربية الإسلامية في أهدافها ووسائلها عن مثيلتها في الحضارات الأخرى على مر الزمان ، كما تختلف باختلاف الأقطار الإسلامية ذاتها وداخلها باختلاف الطبقات والعادات ؛ إلا أنها تتفق في أساسياتها المتمثلة في تعلم القرآن والسنة والأخلاق الحميدة والعلوم النافعة ٠

---

[1] Carra de vaux : la Doctrine de l'islam, Paris , 1909, p.194 .

إن التربية - كأسلوب ومنهج - بما اكتسبته من صفة التغير، لتختلف عن الثوابت واليقينيات التي يرسيها القرآن والسنة ، فلو وضعا تفصيلاً لها لأصبحت فرضا لا يمكن إهماله من جهة ، ولغدت من جهة أخرى تكتسب صفة الثبات رغم ضرورة تغيرها ، ولأمست من جهة أخيرة جامدة مناسبة لعصر ولبلد دون غيرهما ولشخص دون آخر ، وهذا يؤدي إلى الطعن فيهما بوصفهما المصدرين الأساسين للتشريع الإسلامي ٠

فلا غرو إذن في تهافت أطروحة دي فو " De vaux " وأقرانه، فلفلاسفة الإسلام ومفكريه نظرات تربوية عديدة قد اتخذت من موضوعات : تعليم الصبيان، أحوال المتعلمين، أحكام التعليم، وصفات المعلمين منهجاً لها. هذه النظرات بما تموج به من أفكار تربوية تعلن عن هيئتها الإسلامية البحتة في أسلوب التعليم والتأديب أو حتى مادة ما يتلقاه المتعلمون من آداب وفنون ، وهي أمور لا يشارك المسلمين أحد في تعلمها سواهم [1].

وقد لا أكون مجانباً للصواب إذا قلت :- إن الشيخ الرئيس ابن سينا [ت ٤٢٨هـ ، ١٠٣٧م] يعد أحد الرواد الأوائل في هذا المجال التربوي ، هذا على الرغم من ندرة ما كتبه في مجال التربية، ففي كتابيه :- السياسة [2] والقانون في الطب [3] ، تكلم ابن سينا فيهما

---

[1] للإطلاع على بعض مؤلفات فلاسفة الإسلام المهتمة بأمر التربية، والمقارنة بينها انظر:- الفارابي: السياسة – ضمن مقالات فلسفية لمشاهير فلاسفة العرب مسلمين ونصارى – علق عليها الأب لويس شيخو – دار العرب - القاهرة – الطبعة الثالثة – سنة ١٩٨٥م – ص١٨ – ص ٣٤ . وانظر : إخوان الصفا : رسالة في بيان الأخلاق وأسباب اختلافها وأنواع عللها - ضمن رسائل إخوان الصفاء – الجزء الأول – دار صادر – بيروت – بدون تاريخ - ص٣٠٧ – ص٣١١ . وانظر : مسكويه : تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق – مكتبة محمد على صبيح – القاهرة - الطبعة الأولى – سنة ١٩٥٩م - ص٥٧ – ص٦٧ . وانظر : الغزالي : إحياء علوم الدين – المجلد الثاني – الجزء الثامن – دار الغد العربي – القاهرة - الطبعة الثانية- سنة ١٩٨٧م – ص١٣٠ – ص١٣٤. وانظر : الغزالي : ميزان العمل – تعليق د/ علي بوملحم - دار ومكتبة الهلال – بيروت – الطبعة الأولى – سنة ١٩٩٥م - ص٨١ ، ص٩٨ ، ص١٤٩ ، ص١٥٧ ، ص١٦٣، ص١٨٦ . وانظر : الغزالي : الرسالة اللدنية – ص٢٣٩ – ص٢٥٣ ، ورسالة أيها الولد - ص٢٧٤ – ص٢٨٦ - ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي- المكتبة التوفيقية – القاهرة – بدون تاريخ . وانظر : ابن خلدون : المقدمة – المجلد الأول – دار الكتاب اللبناني – بيروت - بدون تاريخ - ص١٠٣٨ – ص١٠٤٥ ٠

[2] ابن سينا : السياسة – تعليق الأب لويس معلوف – منشور ضمن مقالات فلسفية لمشاهير فلاسفة العرب مسلمين ونصارى - ص٥ – ص١٥ ٠

[3] ابن سينا : القانون في الطب – تحقيق إبراهيم شمس الدين – مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت – الطبعة الأولى - سنة ٢٠٠٥م - الجزء الأول - ص٢١٨ – ص٢٥٦ ، والجزء الثالث ص٤٢٣ – ٤٤٢ ٠

– غير مسهب – عن رعاية الطفل جنيناً فوليداً وطرق تأديبه وتعليمه في فترة الصبا حتى يشب ويقدر على التكسب والزواج ويستقل بحياته ٠

ولكن قبل التطرق لهذه الآراء لا بد أن أذكر تلك الأسباب التي دعتني إلى بحث هذا الموضوع :-

١ – إن معظم الباحثين الذين تصدوا لدراسة آراء ابن سينا في فلسفة التربية، قد أهملوا أو أغفلوا ست مراحل من الأهمية بمكان في منهج التربية السينوية [١] ، وهي :- مرحلة تقويم النفس، الحاجة الفطرية لبناء الأسرة وعلتها، البناء الاقتصادي للأسرة، اختيار الزوجة وحسن سياستها ، التدبير الكلي للحوامل، وتدبير المولود . كما لم أر واحدًا منهم قد وضع البداية أو النهاية العمرية لأي مرحلة إلا ما نص عليه ابن سينا في كتاب السياسة فقط ، وقد وضعتها معتمدًا على المقارنة بين كتابي القانون والسياسة، وعلي اجتهادي الشخصي ٠

٢ – إن الآراء التربوية جزء لا يتجزأ من النسق الفلسفي العام للفلسفة السينوية ٠

٣ – إن آراء ابن سينا في فلسفة التربية – في اعتقادي – قد تعد أثرًا من آثار نشأته، إذ لا أستبعد أن تكون مجرد تنظير للجانب المعاش من حياته قياسًا على ما ذكره عن نفسه في سيرته الذاتية٠

٤ – الرغبة في التعرف على مثل هذه النظريات حتى نفهمها ونعيد صياغتها لننتقي منها ما قد يُنتفع به حاضرًا ومستقبلاً٠

وقد اعتمدت في هذا البحث على منهج تحليلي تاريخي حسبما تقتضي طبيعة البحث من تحليل النصوص وتتبع الأفكار. وقد قسمته إلى عدة نقاط هي :-

أولاً : المقدمة ٠
ثانيـــًا : أثر نشأة ابن سينا في آرائه التربوية ٠
ثالثـــًا : منهج التربية السينوية٠
رابعـــًا : أهداف فلسفة التربية عند ابن سينا ٠

---

[١] للإطلاع على بعض هذه الدراسات انظر : كمال إبراهيم : التربية عند ابن سينا – بحث بالكتاب الذهبي للمهرجان الألفي لذكري ابن سينا بغداد ١٩٥٢م – مطبعة مصر– سنة ١٩٥٢– م ص٣٣٥ – ص٣٤١ . وانظر : د/ أحمد فؤاد الأهواني : التربية في الإسلام – دار المعارف – القاهرة الطبعة الأولى – سنة ١٩٨٣ – ص٢٢٩ – ص٢٣٢ . وانظر :د/ عبد الأمير شمس الدين – المذهب التربوي عند ابن سينا– الشركة العالمية للكتاب– بيروت– الطبعة الأولى– سنة ١٩٨٨.

خامسـًا : خاتمة البحث ٠
سادسـًا : قائمة المصادر والمراجع ٠

ثانيًا: أثر نشأة ابن سينا في آرائه التربوية ...

كانت آراء ابن سينا التربوية معبرة أشد التعبير عن نشأته، بل لقد كانت نشأة ابن سينا معبرة أشد التعبير عن مكنون آرائه التربوية، وعن الأهداف والمرامي التي كانت تسعي إليها، بل وعن مادة وطرائق التعليم؛ إذ لو طالعنا سيرته الذاتية – التي أملاها بنفسه على تلميذه أبى عبيد الجوزجاني – لوجدناه يؤكد من خلالها على مناهج وطرق التربية والتعليم، ويبث قِيَم المثابرة والجد والاجتهاد والطموح والثقة في النفس وحب العلم والتعلم والحرص عليهما، وغيرها من الفضائل ٠

فها هو ابن سينا يخبرنا بطريقته التي يفضلها في التعلم، وهي طريقة التعلم الفردي التي درج عليها [1] ، ثم منهج التعلم المتمثل في القرآن والأدب والفقه، وينبهنا إلى فكرة تخصص المعلمين "معلم القرآن ومعلم الأدب" فيقول :- وأحضرت معلم القرآن ومعلم الأدب، وأكملت العشر من العمر وقد أتيت على القرآن وعلى كثير من الأدب ... وكنت أشتغل بالفقه" [2] . وسوف نرى أن أول ما رأى ابن سينا أن يتعلمه الطفل هو القرآن والأدب، كما نشأ هو وتربي ٠

ثم يذكر ابن سينا وسيلة أخرى من وسائل التعلم – غير وسيلة التلقين التي يقوم بها المعلم – ينبهنا إليها لأهميتها هي التعلم الذاتي ، فيقول:-" ثم أخذت أقرأ الكتب على نفسي وأطالع الشروح ٠٠٠ واشتغلت بتحصيل الكتب من النصوص والشروح ٠٠٠ وصارت أبواب العلم تتفتح علىَّ " [3] ٠

وهذه قاعدة تربوية أخرى معروفة :"التعلم في الصغر كالنقش على الحجر" ، تنبه إليها ابن سينا ونبه إليها، حيث رأى أن التعلم يكون حفظاً في أول أمره ثم ينقلب وعياً ونضجًا، إذ يقول:- وكل ما علمته في ذلك الوقت فهو كما علمته الآن لم أزدد فيه إلى اليوم ... فلما بلغت ثماني عشرة

---

[1] في منهجه التربوي سنري أن ابن سينا يفضل طريقتي التعلم الفردي والجماعي معًا ٠
[2] ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء – شرح وتحقيق د/ نزار رضا – دار مكتبة الحياة – بيروت – الطبعة الأولى – سنة ١٩٦٥م – ص٤٣٧ ٠
[3] المرجع السابق : ص٤٣٧ ، ص٤٣٨ ٠

سنة من عمري فرغت من هذه العلوم كلها، وكنت إذ ذاك للعلم أحفظ، ولكنه اليوم معي أنضج [1]. وسوف نرى أن ابن سينا راعى هذه القاعدة إلى حد كبير في منهجه التربوي.

ولم ينس ابن سينا حين سرد سيرته الذاتية أن يبث في قارئها الكثير من الشيم والفضائل كحب العلم، والعبادة، والحرص والدأب، وحب المطالعة، ونستشف هذا من قوله:-" وكنت من أجود السالكين ... وكنت كلما أتحير في مسألة ترددت إلى الجامع وصليت وابتهلت إلى مبدع الكل، حتى فتح لي المنغلق وتيسر المتعسر ... وكنت أرجع بالليل إلى داري وأضع السراج بين يدي، وأشتغل بالقراءة والكتابة، فمهما غلبني النوم أو شعرت بضعف، عدلت إلى شرب قدح من الشراب ريثما تعود إليّ قوتي، ثم أرجع إلى القراءة ..." [2].

شيمة أخرى نبه إليها ابن سينا عابرًا هي " الحس النقدي " إذ يقول:- " وكانوا كلما تذاكروا بينهم وأنا أسمعهم وأدرك ما يقولونه ... لا تقبله نفسي " [3]. وسوف نرى أن ابن سينا غيَّر كثيرًا في منهجه التربوي عما كان سائدًا من طرق التربية والتعليم في عصره، إضافة إلى وضوح الحس النقدي في كتاباته وآرائه.

قاعدة تربوية أخرى أخيرة نَشَّأ عليها ابن سينا تلاميذه، وهي الترفيه، وسوف نرى أن ابن سينا لم يهمل الترفيه وجعل له دورًا مهمًا في منهجه الفلسفي التربوي .

إذن ليس من المستغرب أن نقول :- إننا لو أعدنا دراسة هذه السيرة فإننا لن نستخلص منها فقط أثر حياة ابن سينا وتكوينه الفكري على آرائه جميعها – ومنها التربوية – بل سوف نستخلص منها نظرية تربوية وفضائل تنفعنا وتنفع أولادنا إن أخلصنا فهمها والعمل بها.

ثالثًا :- منهج التربية السينوية ....

درج الباحثون في فلسفة التربية عند ابن سينا، على أن يتحدثوا مباشرة عن تربية الطفل منذ الفطام وحتى نهاية مراحل التربية السينوية.

---

(1) المرجع السابق :ص٤٣٨ ، ص٤٣٩ .
(2) المرجع السابق : ص٤٣٧ – ص٤٣٩ .
(3) المرجع السابق : ص٤٣٧ .

والحق في اعتقادي أنهم قد أغفلوا عدة مراحل أخرى سابقة، رأيت أن اطلق عليها اصطلاح:- " المراحل القبلية لمنهج التربية السينوية " ، وذلك لتمييزها عن المراحل الأساسية، يعني هذا أن منهج التربية عند ابن سينا ينقسم إلى قسمين حسب رؤيتي:- مراحل قبلية، وثمة أخرى أساسية.

[١] المراحل القبلية للتربية :-

تبدأ المراحل القبلية للتربية عند ابن سينا من مراحل متقدمة جدًا على مرحلة ولادة الطفل، إذ يعرج بنا إلى مراحل تسبق الزواج أيضًا، لا تخلو من الجدة والطرافة وخبرة من عركته الحياة، كما لا تخلو من نظرة مستقبلية بعين فيلسوف خبير متمكن، هدفها اعادة تقويم المربي لذاته حتي يستطيع تربية الأبناء فيما بعد، حيث تبتدئ بمرحلة تقويم النفس، تليها مرحلة الحاجة الفطرية لبناء الأسرة وعلتها، ثم مرحلة البناء الاقتصادي للأسرة، وتنتهي بمرحلة اختيار الزوجة الصالحة وحسن سياستها.

أ) مرحلة تقويم النفس :-

إن السعادة الإنسانية لا تتم إلا بإصلاح الجزء العملي من النفس [١]، لذا كان أول ما ينبغي أن يبدأ به الإنسان من صنوف التربية، أن يتعهد نفسه بالتقويم، لأن نفس الإنسان هي أقرب الأشياء إليه وأكرمها عليه وأولاها بعنايته، ولأنه متى أحسن سياسة نفسه وتقويمها لم يع بما فوقها ...[٢].

ويتعين على من رام تقويم نفسه أن يعلم أن له عقلاً هو السائس، ونفساً أمارة بالسوء كثيرة المعايب هي المسوسة. ويتعين عليه أيضاً قبل أن يبتدئ بتقويم نفسه ورياضتها وإصلاح فاسدها، أن يعرف جميع مساوئ نفسه معرفة محيطة، فإنه إن أغفل بعض تلك المساوئ وهو يرى أنه قد عَمَّها بالإصلاح كان ما يصلحه غير حريز ولا وثيق [٣].

ولما كانت الثقة في أن يتعرف الإنسان على مساوئ نفسه ناقصة لثلاثة أسباب :- **أولها** تغافل الناس عن مساوئهم، **وثانيها** كثرة مسامحة الإنسان لنفسه عند محاسبتها، **وثالثها** ميل العقل إلى الهوى عند النظر في أحوال النفس. لهذه الأسباب كان القائم على تقويم نفسه لا يمكن له

---

[١] ابن سينا : رسالة البر والإثم – منشورة ضمن كتاب المذهب التربوي عند ابن سينا– ص٣٥٥ .
[٢] ابن سينا : السياسة – ص٦ .
[٣] المصدر السابق : ص٦ .

الاستغناء عن معونة الصديق العاقل الودود الذي يكون منه بمنزلة المرآة، فيريه حسن أحواله حسناً وسيئها سيئاً [1].

وينبغي لمن عُني بتعرف مناقبه ومثالبه أن يفحص أخلاق الناس ويتبصر مناقبهم ومثالبهم فيقيسها بما عنده منها، ليواظب على المنقبة فيحييها، وليقمع المثلبة ويمتها؛ لهذا ينبغي أن يعد الإنسان لنفسه نوعًا من الثواب والعقاب، يسوسها به، فإذا حسنت طاعتها بتمسكها بالفضائل وهجر الرذائل أثابها بإكثار حمدها وجلب السرور لها وتمكينها من بعض لذاتها، وإذا ساءت طاعتها وامتنع انقيادها فجمحت عاقبها بإكثار ذمها ولومها ومنعها لذاتها حتى تلين له ، وبهذا تسمو نفس الإنسان وتستقيم له [2].

ب) مرحلة الحاجة الفطرية لبناء الأسرة ، وعلتها :-

كان الاجتماع هو الحاجة الفطرية لبناء الأسرة، فمن المعلوم " أن الإنسان يفارق سائر الحيوانات بأنه لا يحسن معيشته لو انفرد وحده شخصًا يتولى تدبير أمره من غير شريك يعاونه على ضرورات حاجاته ... فلا بد له ولأمثاله من اجتماع وتشبه بالمدنيين " [3].

وإذا كان الاجتماع هو الحاجة الفطرية لبناء الأسرة، فإن القوت الذي يقيم به الإنسان أوده ويحفظ حياته، والمسكن الذي يأويه وذويه ويخزن فيه ما يقتنيه ، والزوجة التي تسكن إليها نفسه وترعي أولاده ومنزله وكسبه، والولد الذي يعينه في كبره ويصل نسله ويحي ذكره، هم علة هذه الحاجة [4].

جـ) مرحلة البناء الاقتصادي للأسرة :-

استقامت نفس الإنسان إليه وحسنت قيادتها، ومن ثم عظمت عنده الحاجة لبناء الأسرة، فأصبح الآن مطالباً بالسعي وطلب الرزق ليشيد بناء

---

(1) المصدر السابق : ص٧ .

(2) المصدر السابق : ص٧ .

(3) ابن سينا : الشفاء "الإلهيات" - الجزء الثاني – تحقيق د/ محمد يوسف موسي ، د/ سليمان دنيا، سعيد زايد – مراجعة وتقديم د/ ابراهيم مدكور – الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية – القاهرة – الطبعة الأولي- سنة ١٩٦٠م – ص٤٤١ . وانظر : ابن سينا : النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية – نشرة محي الدين صبري الكردي – مطبعة السعادة – القاهرة – الطبعة الثانية – سنة ١٩٣٨م – ص٣٠٣ .

(4) ابن سينا : السياسة – ص٥ .

أسرته الاقتصادي، ليكفيهم بسعيه ويعينهم برزقه ويمنعهم سؤال الناس بما يحوزه ويكسبه، فيضمن لهم عيش حياة كريمة.

ولما كان الناس في باب المعيشة صنفين: صنف مكفيًا سعيه برزق موروث أو مجني، وصنف محتاج فيه إلى الكسب؛ فقد ألهم الله الإنسان إلى الأشياء التي تسبب الأقوات وهي التجارات والصناعات، لكن الصناعات كانت أفضل طرق الكسب وأبقى من التجارات؛ لأن التجارة تكون بالمال والمال وشيك الفناء كثير الآفات. وقد قسم ابن سينا الصناعات ثلاثة أنواع: صناعة العقل وهي صناعة أرباب السياسة، وصناعة الأدب وهي صناعة الأدباء، وصناعة والشجاعة وهي صناعة الفرسان [1].

وعلى المرء أن يختار أشرف الوجوه وأعفها في طلب الرزق، فكل فضل أو ربح حازه الإنسان بغير ذلك زهيد وإن عظم قدره نزر وإن غزرت مادته ، لهذا فإن من السير العادلة أن يكون بعض ما اكتسبه الإنسان مصروفاً في الصدقات والزكوات وأرباب المعروف، وبعضه مستبقاً مدخراً لنوائب الدهر وأحداث الزمان [2].

أما المصروف في وجوه المعروف فله شرائط : **إحداها** تعجيله، **والثانية** كتمانه، **والثالثة** تصغيره، **والرابعة** زيادته ومواصلته، **والخامسة** اختيار موضعه. وأما النفقات :- فإن صلاح أمرها أن تكون بين الشح والإسراف، والتقتير والتقدير، فإن من يؤثر التقدير أتم عقلاً وأحزم رأيًا . وأما الذخيرة مما اكتسبه الإنسان :- فلا ينبغي للعاقل أن يغفلها متى أمكنته فإنها لتعينه على صروف الدهر ونوائب الزمن [3].

د) مرحلة اختيار الزوجة الصالحة وحسن سياستها :-

شدد ابن سينا في جملة من خطراته في إلهيات الشفاء على ضرورة تحريم الزنا واللواط، والدعوة إلى الزواج المؤدي إلى التناسل وبقاء النوع، والحرص على استمرار هذا الزواج. كما أشار إلى دور المحبة في توطيد العلاقة بين الزوجين، فالمحبة لا تنعقد إلا بالألفة، والألفة لا تحصل إلا بالعادة، والعادة لا تحصل إلا بطول المخالطة. ومن أحق حقوق المرأة

---

[1] المصدر السابق : ص٩ ، ص١٠ .
[2] المصدر السابق : ص١٠ .
[3] المصدر السابق : ص١٠ ، ص١١ .

أن تصان فتُستَر في خدرها، ومن حقوقها أن تكفي من جهة الرجل فيلتزم بنفقتها لأنها ليست من أهل الكسب كالرجل [1].

وضع ابن سينا إذن شرطاً أساسيا للزواج في كتاب الشفاء هو المحبة ، إلا أنه في كتاب السياسة وضع عدة شروط أو صفات رأى توافرها في الزوجة، فيقول:- "إن المرأة شريكة الرجل في ملكه وقيمته في ماله وخليفته في رحله. وخير النساء :- العاقلة ، الدَّيِّنة، الحييّة، الفطنة، الودود، الولود ، القصيرة اللسان، المطاوعة العنان، الناصحة، الحبيب، الأمينة الغيب، الرزان في مجلس، الوقور في هيبتها، المهيبة في قامتها، الخفيفة، المبتذلة في خدمتها لزوجها، تحسن تدبيرها، وتكثر قليلة بتقديرها، وتجلو أحزانه بجميل أخلاقها، وتسلي همومه بلطيف مداراتها[2].

كان ابن سينا إذن يعشق المرأة وإلا لما وثق كل هذا الوثوق في أن امرأة بالعالم يمكن أن تتحلي بكل هذه الصفات، وما كان ذلك إلا لأن ابن سينا يعد فيلسوفاً حكيماً يؤمن بأن الناس متساوون ، مجبولون على الخير، وما الشر فيهم إلا عارض زائل.

وقد عاد ابن سينا ليحدد بعد ذلك الطرق المؤدية إلى حسن سياسة المرأة، فحصرها في ثلاثة أمور :- **أولها** الهيبة الشديدة وإلا أصبح الرجل مأموراً والمرأة آمرة، **وثانيها** الكرامة التامة بتحسين شارتها وشدة حجابها وترك إغارتها، أما **ثالثها** فشغل خاطرها بالمهم لكي لا تتفرغ فتتصدى للرجال بزينتها ولا يصبح لها هم إلا في استزادتها، فتستصغر كرامة زوجها وتسخط جميل إحسانه [3].

بهذا تكتمل المراحل القبلية لمنهج التربية السينوية، وهي بلا شك مراحل تمهد أيما تمهيد لبيت سعيد متكافئ، لا يعاني مشكلات اجتماعية، ولا ترهقه أعباء اقتصادية ، قائم على المحبة والألفة والود بين الزوجين؛ ومن ثم تصبح تربية الأطفال هينة لينة، إذ لا هم للوالدين حينئذ إلا تربية الأولاد تربية دينية وخلقية سليمة.

---

(1) ابن سينا : الشفاء "الإلهيات" – جـ٢ – ص٤٤٨ – ص٤٥٠ .
(2) ابن سينا : السياسة – ص١١ .
(3) المصدر السابق : ص١٢ .

[٢] المراحل الأساسية للتربية :-

إذا كانت التربية الحديثة قد قررت أن تربية الطفل تبدأ منذ أن يصير جنيناً في بطن أمه، فإن ابن سينا قد تنبه إلى هذه الحقائق منذ ما يقترب من الألف عام؛ بل إنه امتد بمراحل التربية إلى ما قبل الزواج – كما رأينا – والحق في اعتقادي أن تنبه ابن سينا لهذا الأمر بتخصيص فصل مستقل في كتاب القانون بعنوان " في تدبير الحوامل"، لينهض دليلاً دامغاً على اعتقاده بأن التربية تبدأ منذ بداية الحمل؛ لاعتقاده بتأثر الجنين بصحة الأم وحالتها النفسية والجسمانية سلباً وإيجاباً ٠

أ) مرحلة التدبير الكلي للحوامل (شهور الحمل):-

اعتنى ابن سينا بالأم الحامل، فذكر لها جملة من الإرشادات والتوجيهات يوصيها باتباعها حتى تحافظ على صحتها وصحة جنينها الجسمية والنفسية، أجملها في النقاط التالية [١]:-

١ – الاهتمام بتليين طبيعتهن دائماً بما يلين باعتدال حتى لا يؤذيهن الإمساك٠

٢ – ممارسة الرياضة المعتدلة والمشي الرفيق من غير إفراط ولا تفريط٠

٣ – يجب ألا يفرطن في الاستحمام " بل الحمام كالحرام عليهن "، ويجب ألا تُدهن رؤوسهن لربما أصبن ببرد فيسعلن فيتزعزع الجنين ويحدث الإسقاط٠

٤ – يجب أن يتجنبن الحركة المفرطة والوثبة والضربة والسقطة، وكثرة الجماع، والامتلاء من الغذاء٠

٥ – الابتعاد عن الانفعالات وخصوصاً الغضب والغم والحزن حتى لا يتأثر الجنين بحالة الأم الانفعالية٠

٦ – الاهتمام بالغذاء الجيد حتى يجود غذاء الجنين، مع الابتعاد عن كل حريف ومُر لكي لا يفسد مزاجه ، وعن كل مدر للطمس٠

خلاصة الأمر أن أكثر إرشادات ابن سينا هنا تتسم بالصفة الطبية ، وذلك لحفظ الجنين والاحتراز من الإسقاط ، والحفاظ عامة على الأم والجنين وصحتهما النفسية والجسمانية [٢]٠

---

[١] ابن سينا : القانون في الطب – جـ٣ – ص٤٢٤ ، ص٤٢٥ ٠

[٢] لقد اختصرت هذه الإرشادات فاكتفيت بالنقاط العامة والمهمة فقط دون تفصيلات فرعية، ولمعرفة مزيد من هذه الإرشادات انظر: ابن سينا: القانون في الطب– جـ٣– ص٤٢٤– ص٤٤١ ٠

ب) مرحلة تدبير المولود منذ الولادة إلى الفطام :-

ما زال ابن سينا سائرًا في مشروع بناء فلسفته التربوية، منتقلاً من مرحلة إلى أخرى، وها هو يصل إلى أولى المراحل التي تمس الطفل وتعتني به وترعاه رعاية مباشرة . فيتحدث عن تدبير المولود منذ ولادته إلى أن ينهض ، وتمتد هذه المرحلة منذ الولادة حتى الفطام ؛ أي حتى عامين من مولد الطفل . ويبدأه االبن سينا بحث الوالدين على أن يصطفيا اسمًا لوليدهما بحيث يكون حسن الوقع والمعني غير متنافر الحروف، جميل الصيغة حتى لا يتعرض بعد ذلك للسخرية من جانب رفاقه. ثم يذكر للأم الكثير من النصائح والإرشادات الطبية للعناية بمولودها منذ لحظة الولادة، تتعلق بنظافته وكيف يكون ملبسه واستحمامه وتدفئته ، إلى غير ذلك [1].

توجه ابن سينا بعد ذلك إلى نقطة على قدر كبير من الأهمية في هذه المرحلة، هي الرضاعة سواء كانت من الأم أو غيرها، فوصفها ووصف كيفيتها، فبدأ بالرضاعة من الأم، فرأى أنه يجب أن يرضع الطفل بلبن أمه ما أمكن، فإنه أشبه الأغذية بجوهر ما سلف من غذائه، إذ قد صح بالتجربة أن إلقامه حلمة أمه عظيم النفع جداً في دفع ما يؤذيه [2].

ثم تحدث عن المرضعة منطلقا من مقولة " إن اللبن يُعدى "، فأكد على حسن اختيار المرضعة كي لا تكون حمقاء، ولا ورهاء (أي ذات خرق وسوء رأي) ، ولا ذات عاهة [3] ، فوضع شروطاً لاختيارها من حيث سنها، وشكلها، وأخلاقها، وهيئة ثديها، وكيفية لبنها، ومقدار مدة ما بينها وبين وضعها، وجنس مولودها. ثم تكلم عن أنواع غذائها وطرق علاجها والرياضة التي تمارسها ليجود لبنها. وتكلم أيضاً عن كيفية البدء في إطعام الطفل ، وكمية وأنواع وطرق إطعامه حتى لا يُؤذيه الطعام ويُمرضه [4].

انتقل ابن سينا بعد ذلك إلى وصف الأمراض التي تصيب الأطفال خلال هذه المرحلة:- كالمغص، وأورام اللثة، والكزاز (أي التيتانوس) ، والسعال، والزكام، وسوء التنفس، والعطاس المتواتر، والبثور، وكثرة

---

(1) لم أتعرض لتفاصيل هذه الإرشادات لأنها في مجال الطب أدخل ، انظر: ابن سينا : القانون في الطب – جـ١ – ص٢١٨ ، ص٢١٩ .

(2) المصدر السابق : جـ١ – ص٢١٩ .

(3) ابن سينا : السياسة – ص١٢ .

(4) ابن سينا : القانون في الطب – جـ١ ص٢١٩ – ص٢٢٣ .

البكاء، وعدم النوم، والفواق، والأحلام المفزعة، وغيرها، فوصف أعراض هذه الأمراض وطرق علاجها [1].

جـ) مرحلة تربية الناشئ (من عامين إلى ستة أعوام) [2]:-

أشرت سابقا إلي أن نشأة ابن سينا كان لها الأثر الواضح في فلسفته التربوية، وهنا في مرحلة تربية الناشئ ، أو تكوين النمط السلوكي للطفل وصعوبة الإقلاع عنه ، والتي تبدأ منذ الفطام حتى سن ست سنوات، يظهر جانب من ذلك الأثر في المقولة التي أشرت إليها سابقًا " التعلم في الصغر كالنقش على الحجر "، حيث رأى ابن سينا أن ما يحفظه الطفل أو يكتسبه من عادات وأخلاق تصبح طبعاً فيه ولا يستطيع لها مفارقة .

في هذه المرحلة العمرية يظهر جلياً أن ابن سينا يركز على ثلاثة جوانب في تربية الطفل:- **الأول** تعويده على محاسن الأخلاق والشيم الكريمة، **الثاني** إبعاده عن الأنماط السلوكية الشاذة وقبيح العادات قبل أن تصل إليه وتصبح عادة راسخة فيه لا يستطيع مفارقتها، و**الثالث** الثواب والعقاب –وهو مبدأ تربوي مهم جدًا – فنجد ابن سينا حدد أوقاته وشروطه ومقداره وكيفيته، وبذلك يستطيع الطفل منذ صغره أن يميز بين الخير والشر .

يقول ابن سينا:- ... فإذا فطم الصبي عن الرضاع، بُدِئ بتأديبه ورياضة أخلاقه قبل أن تهجم عليه الأخلاق اللئيمة ... فإن الصبي تتبادر إليه مساوئ الأخلاق ... فما تمكن منه من ذلك غلب عليه فلم يستطع له مفارقة ولا عنه نزوعاً، فينبغي لغنم الصبي أن يجنبه مقابح الأخلاق وينكب عنه معايب العادات [3].

ويجب أن نتمهل قليلاً عند مبدأ الثواب والعقاب، إذ هو مبدأ أقرته النظريات التربوية الحديثة، واعتمده الإسلام كمبدأ عام في الحياتين الدنيوية والأخروية؛ وابن سينا نفسه لم يخرج في العقوبة والحمد عما هو معروف لدى المسلمين وفلاسفتهم ومفكريهم.

إن التمهل هنا لم يكن إلا لإظهار أن لابن سينا في مبدأ الثواب والعقاب منهجًا جادًا يتدرج من الأخف إلى الأشد ، يبدأ بالترغيب

---

[1] المصدر السابق : ص٢٢٣ – ص٢٢٨ .

[2] درج معظم الباحثين في فلسفة التربية عند ابن سينا أن يتكلموا فيها بداية من هذه المرحلة متناسين أو متجاهلين المراحل الست السابق ذكرها .

[3] ابن سينا : السياسة – ص١٢ ، ص١٣ .

والترهيب، وينتهي بالعقاب البدني . ويُعَوِّلُ ابن سينا كثيرًا في هذا المنهج على الضربة الأولى، فكلما قلّت وآلمت زاد الخوف مما يليها، وإن كانت خفيفة لم يحفل بها الصبي فعاود أفعاله السيئة.

يقول ابن سينا :- ينبغي لغنم الصبي أن يجنبه مقابح الأخلاق ومعايب العادات، بالترهيب والترغيب، والإيناس والإيحاش، وبالإعراض والإقبال، وبالحمد مرة وبالتوبيخ أخرى ما كان كافيا. فإن احتاج إلى الاستعانة باليد لم يحجم عنه، وليكن أول الضرب قليلاً موجعًا بعد الإرهاب الشديد وبعد إعداد الشفعاء، فإن الضربة الأولى إذا كانت موجعة ساء ظن الصبي بما بعدها واشتد منها خوفه، وإذا كانت الأولى خفيفة غير مؤلمة حسن ظنه بالباقي فلم يحفل به [1].

إن وجود هذا المبدأ في فلسفة التربية السينوية بما يدل عليه من سعة أفق ونفاذ بصيرة ، ليدل أكثر ما يدل على أن ابن سينا عرف مقدار هذه الطريقة في مجال التربية والتعليم فأقرها. فما هو بخاف علينا تلك الأهمية البالغة لهذا المبدأ وأثره الكبير في إصلاح ما قد يفسد وتقويم ما قد يعوج من سلوكيات الصبي الذي يوقن إثر معرفته المشروطة حينئذ أن الفعل الحسن يعقبه حمد وثواب، والسئ يعقبه توبيخ وعقاب.

د) مرحلة التعليم الأساسي (من ستة أعوام إلى أربعة عشر عاماً) :-

هذه هي مرحلة التعليم الفردي أو التعليم الأساسي، والتي يطلق عليها ابن سينا "تدبير الأطفال إذا انتقلوا إلى سن الصبا" [2]، وهي تبدأ عنده إذا بلغ عمر الصبي ست سنين وتنتهي في سن الرابعة عشر، وهي في رأيه بداية اشتداد عود الصبي، وقدرته على الحفظ والتلقي ، وبداية وعيه وفهمه وإدراكه .

يقول ابن سينا: وإذا أتي عليه من أحواله ست سنين فيجب أن يقدم إلى المؤدب والمعلم، ويُدَرَّج أيضًا في ذلك، ولا يحكم عليه بملازمة الكتاب كرّة واحدة ... ويكون هذا هو النهج في تدبيرهم إلى أن يوافوا الرابع عشر من سنيهم [3]... فإذا اشتدت مفاصل الصبي واستوى لسانه وتهيأ للتلقين ووعى سمعه، أخذ في تعلم القرآن وصور له حروف الهجاء ولقن معالم الدين. وينبغي أن يروي الصبي الرجز ثم القصيدة، فإن رواية

---

(1) المصدر السابق : ص١٣ .
(2) ابن سينا : القانون في الطب – جـ١ – ص٢٢٨ .
(3) المصدر السابق : ص٢٢٩ .

الرجز أسهل وحفظه أمكن لأن بيوته أقصر ووزنه أخف. ويبدأ من الشعر بما قيل في فضل الأدب ومدح العلم وذم الجهل وعيب السخف، وماحُث فيه على بر الوالدين واصطناع المعروف وقِرَى الضيف، وغير ذلك من مكارم الأخلاق [1].

نرى في هذا النص أن ابن سينا لم يكتف بتحديد مادة ما يتلقاه الصبي في هذه المرحلة، بل وضع أيضاً حدودًا ومعايير لما يجب أن يتعلمه، متبعًا في ذلك منهجاً تدريجيا أيضا وحثنا على اتباعه، حيث يبتدئ بالأسهل والأخف والأكثر تقبلاً ثم يتصاعد الأمر تدريجيًا، دافعه في ذلك أن لا يصاب الصبي بالسأم والملالة من صعوبة ما يتلقاه فيدع الأمر كله؛ فرأى ضرورة اتباع هذا المنهج التدريجي في التعلم حتى تتسع مدارك الطفل تدريجياً فيدرك ويعي ما يتلقاه ويحفظه .

ينتقل ابن سينا بعد ذلك انتقالة أخرى جد مهمة، فيرسم لنا صورة المعلم الخلوق صاحب الدراية الكافية بتعليم الصبيان. لكن ابن سينا لم يقف عند هذا الحد وكفي ، وإنما قام بتأطير العلاقة بين المعلم والصبي داخل نطاق من الاحترام والود المتبادل؛ وهي بالحق صورة لما ينبغي أن يكون عليه كل مدرس، وما أحوجنا وأحوج مدارسنا اليوم إلى مثل هذا المعلم.

يقول ابن سينا:- ينبغي أن يكون مؤدب الصبي عاقلاً ، ذا دين، بصيراً برياضة الأخلاق حاذقًا بتخريج الصبيان، وقورًا رزينًا بعيداً من الخفة والسخف ، قليل التبذل والاسترسال بحضرة الصبي، غير كز (أي غير عابس) ولا جامد بل حلوًا لبيبًا، ذا مروءة ونظافة ، قد خدم سراة الناس وعرف ما يتباهون به من أخلاق الملوك ويتعايرون به من أخلاق السفلة، وعرف آداب المجالسة وآداب المؤاكلة والمحادثة والمعاشرة [2].

والحقيقة أن ابن سينا هنا كان متأثرًا بنشأته، وبطريقة تعليمه في صغره – كما أشرت من قبل – فتذكر صباه عندما أحضر معلم القرآن فأتمه دون العاشرة، لهذا فهو يريد أن ينشأ أطفال المسلمين على الطريقة التي نشأ هو عليها، والتي تركت أثراً كبيراً جداً في نفسه وتكوينه العلمي.

وأقول هنا :- إنه بالرغم من أهمية هذه المرحلة في المنهج التربوي السينوي، إلا أن ما أود التنبيه عليه أنه إذا كانت تناسب عصر ابن سينا،

---

[1] ابن سينا : السياسة – ص١٣ .
[2] المصدر السابق : ص١٣ .

فإن التعليم الفردي لا يتناسب مطلقاً مع العصر الحاضر لظروف اتساع رقعة التعليم، واتجاه أولياء الأمور لتعليم أولادهم، بالإضافة إلى الزيادة السكانية المتضخمة، والعجز الواضح في عدد المدرسين.

هـ) مرحلة التعليم الجماعي (التعليم الثانوي) :-

يصل ابن سينا إلى مرحلة مهمة أخرى في منهجه التربوي، وهي مرحلة التعليم الجماعي أو التعليم الثانوي، والتي تبدأ بمجرد نهاية المرحلة السابقة، أي عندما يبلغ الصبي الرابعة عشر من عمره، فيرى أن تعليم الصبي مفرداً قد يكون غير مجدٍ في معظم الأحوال وخصوصاً في هذا السن، فأكد ضرورة التعليم الجماعي ؛ إذ ينبغي أن يكون مع الصبي رفقاء آخرون من أولاد السادة والعظماء ومختلف طوائف المجتمع، طيبوا الأخلاق والعادات [1].

ويعود دافع ابن سينا إلى إقرار التعليم الجماعي إلى عدة أسباب هي[2] :-

١ ـ إنه يخلق نوعاً من المنافسة الشريفة بين الصبيان، ورغبة في التفوق والتباهي فيما بينهم بما حفظوه أو علموه.

٢ ـ تأصيل مبدأ المحاكاة والتقليد [3] ، حيث إن الصبي عن الصبي ألقن وهو عنه آخذ ، وبه آنس .

٣ ـ انفراد الصبي والمعلم يجلب لهما الضجر والملل، مما يجعل فهم الصبي لما يشرحه المعلم، وتوصيل المعلومة من المعلم إلى الصبي، من الأمور العسيرة.

٤ ـ إن التعليم الجماعي باعث على النشاط ومجدد للطاقة، وذلك حين يتحاور المعلم مع صبي وآخر ويجادلهم ويجادلونه، فهذا الحوار العلمي أو النقاش في الدرس وغيره يفيد العقل وينشط الذاكرة ويثبت المعلومة .

---

[1] المصدر السابق : ص١٣ .

[2] المصدر السابق : ص١٣ ، ص١٤ .

[3] أخذ بعض الباحثين على ابن سينا عدم قوله بمبدأ المحاكاة والتقليد، واعتقد أن ابن سينا لم يهمله وإنما نص عليه صراحة في كتاب السياسة عندما قال:"إن الصبي عن الصبي ألقن ..... " وقوله: "وكل ذلك من أسباب المباراة... والمحاكاة" انظر : ابن سينا : السياسة- ص١٣، ص١٤ .

٥ – وجود رفقاء مع الصبي أدعى للترويح والترفيه عنهم لينفي السآمة ويجدد النشاط ، وهذا أثر آخر من آثار نشأة ابن سينا على آرائه التربوية.

٦ – يخلق التعليم الجماعي نوعاً من الحياة الاجتماعية الخاصة، وذلك بمصاحبة الأقران ومرافقتهم وتبادل الزيارة معهم، وفي ذلك تهذيب لأخلاقهم وتحريك لهممهم وتمرين لعاداتهم ٠

و) مرحلة التوجيه والإرشاد التربوي ومسايرة ميول الصبي :-

توازي هذه المرحلة التعليم بعد الثانوي أو الجامعي، وتبدأ من نهاية مرحلة التعليم الجماعي – أي من سن الثامنة عشر تقريبًا – وهي المرحلة الأخيرة في منهج التربية عند ابن سينا، وتنقسم إلى قسمين: الأول يقوم فيه المعلم أو المربي بتبصير الصبي وإرشاده بعد أن يتم تعليمه إلى السبل المتاحة أمامه ليختار منها ما يناسبه، والثاني مسايرة ميول الصبي مع الإرشاد والتشجيع المستمر من قِبَل المعلم ٠

في القسم الأول: ينظر المعلم إلى ما يرغبه الصبي من أنواع التعليم أو الصناعات، ليختار معه الطريق الذي يريد أن يسلكه. وهنا يبرز الدور المهم المنوط به المعلم أو المربي حيث يقوم بعملية توجيه الصبي وإرشاده إلى كل السبل المتاحة أمامه ويُظهر له ما خفي عليه منها، ثم يتركه لاختياره [١]٠

وهنا يأتي ابن سينا ليرسخ قاعدة بالغة الأهمية والخطورة، هي الفروق الفردية أو اختلاف الاستعدادات الفطرية لدى الأفراد، فيرى أن البشر غير متساوين في استعداداتهم نحو اكتساب مهارة أو معرفة أو تعلم حرفة أو صناعة ما، وهذا يعني أن هناك فردًا قد يكون لديه الاستعداد أو التهيؤ الفطري على تعلم واكتساب ما وليس لديه قدرة أو استعداد لاكتساب آخر، فليست كل صناعة يبغيها الصبي تكون ممكنة مهيئة له ولكن ما وافق طبعه وقدراته. فلو كانت الآداب والصناعات في رأي ابن سينا تأتي بالطلب والرغبة، لتخير الناس جميعاً لأنفسهم أشرف العلوم وأرفع الصناعات [٢]٠

لكن على الرغم من تأكيد ابن سينا على وجود هذه الفروق بين الناس، إلا أنه لم يبين لنا أسباب وجودها، ويبدو أنه عسر عليه فهمها أو لم

---

[١] المصدر السابق : ص١٤ ٠

[٢] المصدر السابق : ص١٤ ٠

يستطع التوصل إليها إذ يقول:- ولهذه الاختيارات ... أسباب غامضة وعلل خفية تدق عن أفهام البشر، وتلطف عن القياس والنظر، لا يعلمها إلا الله جل ذكره [1].

أما القسم الثاني من هذه المرحلة فهو مسايرة ميول الصبي، وتوجيهه إلى الصناعة التي تتفق وميوله، فيرى الدكتور الأهواني أنه رأى لم يسبق ابن سينا أحد إليه في الإسلام [2]. ويرى الدكتور أحمد شلبي أنه من الآراء التي تلتقي مع الآراء الحديثة في مجال التربية [3].

ففي هذا القسم الثاني من هذه المرحلة الأخيرة نجد ابن سينا يركز على جانبين متلازمين لا ينفصلان :-

- **الأول** :- يقوم فيه المعلم أو المربي بالتعرف وبدقة على طبع الصبي، فيسبر قريحته ويختبر ذكاءه ليتعرف مدى قدرته واستعداده، ثم يوجهه إلى اختيار المهنة أو الصناعة التي تناسب ميوله وقدراته. وبعد ذلك يقوم بدورين مهمين أولهما المتابعة وثانيهما التشجيع الدائم المتواصل، ليقف على مدى تقدم الصبي في مهنته أو صناعته وليدفع همته ويقوي عزيمته [4]. لكن ابن سينا لم يوضح لنا الطريقة التي نحدد بها طبع الصبي ونسبر قريحته ونختبر ذكاءه بها ، فلعله لم يتوصل إليها مثل أسباب الفروق الفردية، أو لعله تركها لحكمة المعلم وذكائه وفراسته .
- **الثاني** :- يتعلق باختيار الصبي لصناعته أو مهنته، وفيه يرى ابن سينا أن يترك للصبي الحرية الكافية في اختيار ما يناسبه مسايرة لميوله ورغباته ، فإن ذلك أحزم في التدبير وأبعد من أن تذهب أيام الصبي هباء [5].

يأتي ابن سينا بعد ذلك ليضيف بعدًا آخرًا لهذا الجانب، فيرى أن الصبي إذا أتقن صناعته أو مهنته وتمرس عليها وسبر أغوارها وتكسب منها، فإنه يحصل له من ذلك ثلاثة منافع :- **إحداها** : إنه إذا ذاق حلاوة كسبه من جهده وعمل يده دفعه ذلك إلى عدم التقصير في عمله بل وإلى تطويره . **والثانية** : أن يتعود على طلب الرزق وعدم الركون إلى الدعة

---

[1] المصدر السابق : ص١٤ .
[2] د/ أحمد فؤاد الأهواني : التربية في الإسلام – مرجع سابق– ص٢٣١ .
[3] د/ أحمد شلبي : تاريخ التربية في الإسلام – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – الطبعة الأولى – سنة ١٩٦٠م – ص٢٦٩ .
[4] ابن سينا : السياسة – ص١٤ ، ص١٥ .
[5] المصدر السابق : ص١٤ ، ص١٥ .

In the Name of Allah
Summary
Ibn-Sina "Avicenna" Educational Philosophy- Historical Analytical study.

Dr./ Hossam Mahmoud Ibrahim Rezk
Ph. D. Arts – Philosophy Specialism
Faculty of Arts – Menoufiya University

Most of researchers in Avicenna Educational Philosophy used to deal with it starting from the child weaning stage, but I have discovered other preceding sequence six stages. These stages are: self-improvement, instinctive need for the family structure and its reason, economic structure for the family, the choice of a virtuous wife and her good conduct, total disposal of the pregnant and the stage of preparation the newborn from birth to weaning. This is beside the other basic stages, they are progeny stage, primary education stage, group education stage and educational guidance stage and keeping peace with the lad's tendencies.

Added to this that most of the researchers did not bother themselves with establishing the beginning age or the end of the basic stages of the educating the; except all that Avicenna mentioned in his book "Policy". I did this depending on the comparison between the two books of law in medicine and policy.

Through this research I attained a number of results, its important:

1- Avicenna's opinions regarding the objective educational philosophy in the two books of law in medicine and policy are considered from my point of view a comprehensive educational theory.
2- Authenticated education is considered an influence from his rising up influences.
3- The educational philosophy of Avicenna is characterized with a progressive soul, when Avicenna abandoned some prevalent education sides in his age such as the individual and class education. He realized the necessity of the comprehensive group education for all the society classes.
4- Avicenna had came to new views that had never been attained by anyone in Islam. These are keeping peace with the lad's tendencies and directing him to the profession or industry that agree with his tendencies and desires. Starting the elementary education since the age of six, secondary since the age of fourteen. Theses are right theories that apply in the present age.

Finally, we and our children hope to benefit from these earnest philosophical educational theories on which our ancestors were brought up to put us on the right path and to develop as our virtuous ancestors did

والراحة أو إلى مال أبيه . **والثالثة** : إنه إذا تكسب بصناعته فمن التدبير أن يتزوج، ويفرد رحله أي يؤسس له بيت مستقل، يمارس فيه حياته الجديدة كراع وسائس ومرب [1].

رابعًا : أهداف فلسفة التربية السينوية...

أقول أولاً إن ابن سينا لم ينص علي وجه تفصيلي أو اجمالي على أهدافه من فلسفة التربية، أومن وضع هذا المنهج التربوي، ولكن ما يمكن أن يقال عن هذه الأهداف التي كان يرمي إليها ابن سينا أنها محض استنباط لا غير، مستقاة من مجمل ما قاله ابن سينا في منهجه التربوي ، أجملها فيما يلي :-

١- تنشئة الأطفال نشأة دينية وخلقية صحيحة .

٢- معرفة الله وتزكية النفس بالعلم والعمل والعبادة .

٣- طلب العلم .

٤- العمل باستثمار المعارف المكتسبة من العلم، وإتقانه.

٥- المكانة الاجتماعية المميزة في المجتمع حيث إن الفرد كلما زاد علمه وسما عمله ، ارتفع شأنه في المجتمع .

خامسًا : الخاتمة ....

زعم بعض المستشرقين أن علماء الإسلام عسرت على أفهامهم العلوم التطبيقية وأنهم كانوا مجرد نساخ لفكر اليونان. وقليل من التحقيق يبين لنا أن الفكر الأوربي عاش قرونا يستلهم أفكار المسلمين وعلومهم ، وخصوصاً ابن سينا وابن رشد، لهذا كان هذا البحث ذهاباً من جانبنا إلي القول بأن المجال التربوي – التطبيقي – عاشه وعاينه فلاسفتنا عمليًا في حياتهم قبل أن يكتبوه في كتبهم ورسائلهم.

وابن سينا هذا الفيلسوف الألمعي والطبيب البارع والتربوي الخبير، لم يكن غريبًا عليه أن يتطرق إلى مجال الفلسفة التربوية، **أولاً** لأن التربية اعتبرت لديه جزء من النسق العام لفلسفته، **وثانيًا** لأنه آمن بأن نشأته

---

[1] المصدر السابق : ص١٥.

وتربيته كانت سببًا فيما وصل إليه من نبوغ وسلطة وشهرة، فوضع آراءه في فلسفة التربية في الوقت الذي كان فيه العالم غير المسلم يعيش عصرًا من الظلام الشامل؛ بل لقد تنبه ابن سينا إلى أطوار في التربية لم ينتبه أحد قبله إليها ، ثم جاء علماء التربية الغربيون بعده بقرون عديدة ليقرروا ما أقره، ثم تنتسب إليهم تلك الآراء وينسوا وننسى معهم فضله وفضل علماء الإسلام وسبقهم في مجال الفكر عامة.

إن فلسفة التربية عند ابن سينا لتحمل آراء صائبة وغاية في الدقة، وتدل على حرية شديدة في التفكير ونفاذ الفكر وصدق النظر ونزعة تقدمية بينة، إذ نجده قد نظر إلى بيئته وتحرى الطريقة التي نشأ عليها ودرج ، فأضاف إليهما آراء أخرى تتفق مع العقل السليم والفكر الصحيح وتسير على هدى الدين الإسلامي ونهجه .

واختصارًا أجمل ما قد توصلت إليه من نتائج فيما يلي :-

١- إن آراء ابن سينا في فلسفة التربية والتي نجدها في كتابي السياسة والقانون في الطب ، تعد – من وجهة نظري – نظرية تربوية متكاملة ، وهي صورة حياة كاملة تشتمل على الأصول العقائدية والاخلاقية والاجتماعية والاقتصادية .

٢- يعد كتاب السياسة لابن سينا كتابًا في فلسفة التربية في المقام الأول.

٣- إن منهج التربية السينوية يعد أثرًا من آثار نشأته .

٤- تحلت فلسفة التربية السينوية بروح تقدمية عندما تخلى ابن سينا عن بعض نواحي التربية السائدة في عصره كالتعليم الفردي والطبقي، فرأى ضرورة التعليم الجماعي الشامل لكافة طبقات المجتمع وكأنه يدعو إلى وحدة قوى الشعب وتآخي طبقاته، وهذا يدل على تأصل الروح الديموقراطي في نفس ابن سينا وعقله .

٥- نادي ابن سينا بمراعاة الفروق الفردية والتنبه لاختلاف الاستعدادت الفطرية لدى الأفراد، وتفرغ المرأة لعمل البيت ورعاية الأولاد وكأنه يستجلي المستقبل ويتنبأ بصعوبة الحياة وتعقدها وخطر ذلك على المرأة خوفاً عليها ومنها، وإن كان هذا الرأي حول عمل المرأة يحتاج إلى مناقشات تفصيلية، إذ ليس من الضروري أن يكون ابن سينا على صواب .

٧- ابن أبي أصيبعة (موفق الدين أبي العباس أحمد) : عيون الأنباء في طبقات الأطباء – شرح وتحقيق د/نزار رضا – دار مكتبة الحياة – بيروت – الطبعة الأولى – سنة ١٩٦٥م .
٨- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : المقدمة – المجلد الأول – دار الكتاب اللبناني – بيروت – بدون تاريخ .
٩- إخوان الصفا : رسالة في بيان الأخلاق وأسباب اختلافها وأنواع عللها ... – الجزء الأول – دار صادر – بيروت – بدون تاريخ .
١٠- الأهواني (د/أحمد فؤاد): التربية في الإسلام – دار المعارف – القاهرة - الطبعة الأولى – سنة ١٩٨٣م .
١١- الغزالي (أبو حامد): إحياء علوم الدين – المجلد الثاني - الجزء الثامن – دار الغد العربي – القاهرة – الطبعة الثانية – سنة ١٩٨٧م.
١٢- الغزالي (أبو حامد) : الرسالة اللدنية – منشورة ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي – المكتبة التوفيقية – القاهرة – بدون تاريخ .
١٣- الغزالي (أبو حامد) : رسالة أيها الولد – ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي – المكتبة التوفيقية – القاهرة – بدون تاريخ .
١٤- الغزالي (أبو حامد) : ميزان العمل – تعليق د/علي بوملحم - دار ومكتبة الهلال – بيروت – الطبعة الأولى – سنة ١٩٩٥م .
١٥- الفارابي (أبو نصر محمد) : السياسة – منشورة ضمن كتاب مقالات فلسفية لمشاهير فلاسفة العرب مسلمين ونصاري– تعليق الأب لويس شيخو – دار العرب – القاهرة – الطبعة الثالثة – سنة ١٩٨٥م .
١٦- شلبي (د/أحمد) : تاريخ التربية في الإسلام – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – الطبعة الأولى – سنة ١٩٦٠م .
١٧- شمس الدين (د/عبد الأمير) : المذهب التربوي عند ابن سينا – الشركة العالمية للكتاب – بيروت – الطبعة الأولى – سنة ١٩٩٨م .
١٨- مسكويه (أبو علي أحمد بن محمد) : تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق – مكتبة محمد علي صبيح – القاهرة – الطبعة الأولى – سنة ١٩٥٩م .

(ج)- المراجع الأجنبية :-

19- Carra de Vaux : La Doctrine de l'islam, Paris,1909.

٦- توصل ابن سينا إلى آراء جديدة في فلسفة التربية لم يُسْبَق إليها في الإسلام ، هي :- مسايرة ميول الصبي ، وتوجيهه إلى الصناعة أو المهنة التي تتفق مع ميوله ورغباته ، وبدء التعليم الأساسي من ست سنوات ، والتعليم الثانوي من سن الرابعة عشرة ، وهذه نظرات صائبة تطبق في العصر الحاضر .

وأخيرًا أرجو أن ننتفع وينتفع أولادنا بمثل هذه النظريات التربوية الفلسفية الجادة التي نشأ عليها أسلافنا، لتضعنا على الطريق الصحيح، ولنتقدم كما تقدم سلفنا الصالح .

سادسًا : قائمة المصادر والمراجع...

(أ) - المصادر :-

١- ابن سينا : البر والإثم – رسالة منشورة ضمن كتاب المذهب التربوي عند ابن سينا – د/ عبد الأمير شمس الدين– الشركة العالمية للكتاب – بيروت – الطبعة الأولى – سنة ١٩٨٨م.

٢- ابن سينا : السياسة – منشور ضمن كتاب مقالات فلسفية لمشاهير فلاسفة العرب مسلمين ونصارى – تعليق الأب لويس معلوف – دار العرب – القاهرة الطبعة الثالثة – سنة١٩٨٥م .

٣- ابن سينا : الشفاء "الإلهيات" – الجزء الثاني – تحقيق د/محمد يوسف موسى، د/ سليمان دنيا، سعيد زايد – مراجعة وتقديم د/ إبراهيم مدكور – الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية – القاهرة – الطبعة الأولى – سنة ١٩٦٠م .

٤- ابن سينا : القانون في الطب – الجزء الأول والجزء الثالث – تحقيق إبراهيم شمس الدين – مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت – الطبعة الأولى – سنة ٢٠٠٥م .

٥- ابن سينا : النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية – نشرة محي الدين صبري الكردي – مطبعة السعادة – القاهرة – الطبعة الثانية – سنة ١٩٣٨م .

(ب)- المراجع العربية :-

٦- إبراهيم (كمال) : التربية عند ابن سينا – بحث بالكتاب الذهبي للمهرجان الألفي لذكرى ابن سينا بغداد ١٩٥٢ – مطبعة مصر – القاهرة – سنة ١٩٥٢م .